

إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

درس جديد من دروس أمراض القلوب ومحاولة وضع نقاط للعلاج حتى تشفى هذه القلوب فتصفو وتؤدي ما خلقت من أجله

مرض اليوم هو **قلة الحياء من الله** من جملة الأمراض التي قد يُصاب بها القلب .

## ﴿ قلة الحياء من الله ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» أخرجه البخاري (9) واللفظ له، أخرجه مسلم (35)

- ومعنى ذلك: أن ذهاب حياء العبد ينتقص من إيمانه فلا نقول أن الإيمان ذهب بالكلية ولكن أصبح هناك خلل في إيمانه، قال تعالى :

### ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14) ﴾ [العلق]

قال تعالى: ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1) ﴾ [النساء]

إن الله عز وجل يُراقب كل شيء يحدث في كونه (فيراقب الحركات والسكنات وكل ما يصدر في الظاهر والباطن) ويعلم كل شيء قال تعالى:

### ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19) ﴾ [غافر]

**أي:** مجرد النظرة المسروقة التي لا تتعدى اللحظة ومن يفعلها قد يخدع من حوله ولكنه غفل عن نظر الله إليه قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (60) ﴾ [الأنعام]

القرآن ملئ بالآيات الدالة على أن الله عزوجل يسمعنا ويرانا وأن الجوارح التي سخرها لنا ووهبنا إياها مملوكة له وحده فكل ما يصدر عن الخلق سواء في الظاهر أو الباطن يعلمه الله ويراقبه ويطلع عليه .

وهذه الآيات في حد ذاتها لا بد أن يحدث بها الردع والزجر للعبد صاحب القلب الحي فيستحي بل ويزداد حياءً من ربه ومولاه .

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ** " سنن الترمذي (3556).

**أولاً :** صفات الله عزوجل ليست كصفات المخلوقين ولو تشابه المسمى ، وبالتالي فإن حياء الله سبحانه ليس كحياء أحد ، فليس كمثلته شيء في ( صفاته \_ أفعاله \_ أسمائه \_ أقواله ).  
فحياء العبد هو : نوع من الخجل والكسوف ومن ثم فإن هذا المعنى لا يستقيم مع الله عزوجل ، ولكن حيائه سبحانه قد يكون في عدم رد يد عبده من غير أن يستجيب له ، أو أن يُعذب آخر طلب منه العفو والمغفرة ، فنسبة الصفة له تكون على الوجه الذي يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه .

**تنبيه ، قد يتساءل البعض نحن ندعو ولا يُستجاب لنا :**

الرد : لأن الدعاء يصدر عن قلبٍ ساهٍ غافلٍ غير حاضرٍ ولسانٍ يُردد مجرد كلمات ، ولو كان القلب حاضرًا مُستشعرًا لكلمات الدعاء مُتضرعًا إلى ربه ومولاه لاستحي الله أن يرد عبداً رفع إليه يده من غير أن يستجيب لأنه هو الحيّ الكريم

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: **«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خُدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ** » أخرجه البخاري (6102)، أخرجه مسلم (2320)

**- العذراء :** هي الفتاة التي لم يسبق لها الزواج

**- الخدر :** هو ستر يجعل للبكر في جنب البيت ، كان النبي ﷺ يستحي كاستحياء هذه العذراء

## ما يظنه البعض عيبًا هو ميزة ولكنها عقولٌ مطموسة وفطرٌ منتكسة

نرى اليوم عندما يتقدم شاب لفتاة وتحدث المُقابلة بين الطرفين ويكون الشاب مُتصِف بشيء من الحياء ، فإن الفتاة قد ترفض لاتصافه بذلك وكأن هذا عيب فيه لا يجب أن يكون متصِفًا به ، هذا العقل منتكس ومُنعكس ، فالعقول والتفكير وطريقة الحياة انعكست نتيجة مشاهدة الفضائيات والضلالات .

النبي ﷺ كان أعظم شخصية عرفها التاريخ بل هو أعظم مَنْ سار على الأرض بقدمه فهو سيد البشر ولم تنتقص هذه الصفة (الحياء) من هذا الكمال البشري الذي شهد له العدو قبل الحبيب والصاحب .

يعتقد البعض أن الحياء يُعد صفة مذمومة إذا اتصف بها الرجال في حين أنها صفة محمودة إذا اتصف بها الجميع (رجلٌ كان أو امرأة) وفرق بين الحياء والخجل .

فالخجل يعرفه علماء النفس بأنه: ارتباك يحدث للإنسان نتيجة موقف، كسؤال المعلم للطالب ..... فتجد الطالب يخجل ولا يستطيع عرض رأيه بوضوح

فالخجل ناتج عن جبن عن خوف .... فالشخصية الخجولة شخصية ضعيفة .. شخصية لا تعرف قيمتها .

ولكن الحياء : عكس ذلك تماما فان الحياء ناتج عن شخصية تستشعر قيمتها فهي كريمة تستعلي أن تفعل القبائح .

## - (الحياء خُلِقَ عالي - جزء من الإيمان)

كان النبي ﷺ يستحي أن يأتيه السائل فيرده ولا يُعطيهِ الصدقة ، يستحي أن يأتيه الضيف ولا يُكرمه .

عَنْ رَبِيعِ بْنِ جِرَاشٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ " أخرجه البخاري (6120)

- معنى " إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى : أي الكلام الذي اتفق عليه الأنبياء فلا خلاف بينهما فيما يُخص هذا ، كما أنه لم يُنسخ .

- وهل معنى " إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَأَصْنَعْ مَا شِئْتَ " : أن هذه رخصة وللعبد أن يفعل ما يشاء ؟ هذا فهم خاطئ ولكن المقصود هو إذا لم يكن عند العبد حياء فإنه سيفعل ما يشاء من غير استحياء .

ما هو الشيء الذي يمنع العبد ويزجره عن مواجهة الشر؟ ليس هناك شيء يمنع العبد من مواجهة الشر إلا الحياء، وإذا لم يوجد الحياء فإن الشر سيُقترب بكل سهولة .

- كان عبد الله بن مسلمة القعبي :

(من رجال الحديث النبوي، ومن تلاميذ الإمام مالك، وهو رجل ثقة معروف وإمام مشهور)

ولكنه عندما كان شاباً مراهقاً كان طائشاً لا هم له إلا مجالسة أمثاله من السفهاء ومعاقرة الخمر وإيذاء الناس في الشوارع وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها أمثاله من السفهاء . وفي أحد الأيام كان واقفاً عند باب بيته، ومعه سكين، فمر به رجل على حمار وحوله مجموعة من الشباب الذين يظهر من سيماهم الصلاح والاستقامة والاشتغال بطلب العلم،

فقال القعبي لمن حوله: من هذا الرجل الذي أقبل؟ قالوا: هذا شعبة بن الحجاج، قال: ومن هو شعبة بن الحجاج؟ وكانوا بالبصرة، وشعبة إمام علم، لا يخفى على أحد من أهل البصرة، إلا أن القعبي لم يكن يعرفه لانشغاله بأمور أخرى، كما يجهل كثير من الشباب الضائعين في هذا العصر أخبار العلم والعلماء والدعاة وغير ذلك،

فقالوا له: هذا شعبة بن الحجاج قال: ومن شعبة؟ قالوا: إمام من أئمة المحدثين، فتقدم هذا الغلام السفیه إلى شعبة، وقال له: حدثني، اقرأ علي حديثاً حتى أرويه عنك، فقال: لست من أهل الحديث، أنت سفیه لا تستودع العلم والحديث، وغضب هذا الغلام ورفع السكين، وقال له: حدثني وإلا ضربتك بهذا السكين !

فلما رأى شعبة هذا الموقف؛ حدثه حديثاً يناسب المقام، فقال: حدثني منصور عن ربي عن أبي مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" وهذا الحديث مناسب لحال هذا الغلام الذي لم يستح ورجع هذا الشاب إلى بيته، وقد أثر فيه هذا الحديث الذي سمعه أعظم التأثير، وقلّب شخصيته قلباً تاماً، فرجع إلى البيت

شخصية أخرى، وكأنه ليس هو الشاب الذي خرج قبل خمس دقائق، رجع تائباً إلى الله عز وجل خجلاً من الله تعالى، فأراق الخمر التي كانت موجودة في بيته، وكسر أوانيها، وكسر آلات اللهو والطرب التي كانت عنده، وكان على موعد مع بعض جلسائه وندمائه من الفساق، فقال لأمه: إذا جاء زملائي فأدخليهم في البيت وأكرمهم وأخبرهم بما حصل مني، حتى لا يعودوا إلي مرة أخرى،

ثم خرج من البصرة إلى المدينة، ولازم الإمام مالك بن أنس، حتى كان من أخص تلاميذه، وروى عنه كثيراً من الحديث، ثم رجع إلى مدينته البصرة ليروي الحديث عن شعبة وغيره من العلماء، ولكنه حين رجع إلى البصرة، وجد أن شعبة قد مات، وهكذا لم يرو القعني عن شعبة إلا ذلك الحديث الذي تحمله عنه). رواها ابن قدامة في كتاب التوايين وصحح القصة الشيخ أبي اسحاق الحويني حفظه الله.

### - الشاهد:

1- أن الكلام يكون مباركاً مؤثراً كلما كان العبد (العالم) لديه تقوى وقريب من الله فيؤثر فيمن يسمعه لأن الله عز وجل يفتح له طريقاً إلى القلوب فتتدبره وتعمل به كما سمعته الأذان واستيقظت بسماعه،

2- هذا الرجل (عبد الله بن مسلمة القعني) أصبح من أئمة المالكية والسبب في ذلك كلمة أثرت في القلب فأحيتته من غفلته

3- أحياناً نرى أناس يكون ظاهرهم المعصية في حين أن باطنهم يكمن فيه الكثير من الخير وبالتالي (أنصح) بعدم الحكم على إنسان من خلال ظاهره .

هذا الشخص كان ظاهره (التَّبَجُّحُ \_ شارب للخمر) ولكن القلب به حياء فبالرغم من هذه الحال التي كان عليها إلا أنه سمع الكلمات ووعاها وكانت السبب في صلاحه ورجوعه إلى ربه ولم تكن مجرد توبة بل كانت توبة وعلو إيمان .

**نُخَلِّصُ إِلَى:** أن الحياء خُلِقَ مطلوب وقلته دليل على مرض القلب، وقلته الحياء الآن ما أكثرها.

**قَسَمَ العلماء الحياء إلى عشرة أوجه:** (حياء جنائية \_ حياء تقصير \_ حياء جلال \_ حياء كرم \_ حياء حشمة \_ حياء استصغار للنفس، واحتقار لها \_ حياء محبة \_ حياء عبودية \_ حياء شرف وعزة \_ حياء المستحي من نفسه) وحتى نعلم كيف نُحَصِّلُ خُلُقَ كهذا ونتحلى به فهو شُعبة من شُعب الإيمان كما جاء في الحديث.

### **1- حياء الجنائية:**

ومنه حياء آدم عليه السلام من ربه لما فرَّ هاربًا في الجنَّة، قال الله تعالى: أفرارًا مِنِّي يا آدم؟ قال: لا يا ربِّ، بل حياءً منك.

هذا خجل وحياء من رب العالمين ، حيث أن آدم استحي من ربه أن يراه على هذا الحال ، نعم هو يعلم أن الله يراه ولكن عَظُمَ عليه ذلك الأمر (لأنه عندما أكل من الشجرة ظهرت عورتها).

### **ولننظر إلى حياء الأنبياء مع ربهم يوم القيامة (حديث الشفاعة الطويل):**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِالْحَمِ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصْرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَيَّ نُوحَ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ،

وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ  
وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي  
دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ  
إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَحَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى  
إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ  
يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ -  
نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى  
أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا  
نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ  
مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى  
عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ  
وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ  
عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ،  
وَلَمْ يَذْكَرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا  
فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا  
تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي  
عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي،  
ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ اذْهَبْ رَأْسَكَ سَلِّ تَعْطُهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ فَاذْهَبْ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ،  
أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ  
الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي  
نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَيْرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ  
وَبُصْرَى - " أخرجہ البخاری (4712)، وأخرجہ مسلم (194)

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي الْمُضَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ  
مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمْ سَافَةَ الْأَرْضِ،

أَمِ الْمِيلِ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ " أخرجه مسلم (2864)

يُنص الحديث على : أصناف البشريوم القيامة فمنهم :

1- مَنْ سَاءت أَعْمَالُهُمْ فَكَانَ وَقُوفُهُمْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ صَعْبَ عَسِيرٍ

2- مَنْ يَقِفُ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ لَمْ يَمَنْ ذَكَرَهُمْ فِي حَدِيثِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يَظْلَهُمُ الرَّحْمَنُ تَحْتَ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ .

يقف الناس في كرب حيث أن اليوم طويل والموقف عسير،

قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (4)

### [المعارج]

**يذهب بعض الناس لآدم عليه السلام:** ويذكرون مناقبه ويطلبون منه أن يشفع لهم عند ربههم ، فيستحي آدم من ربه ويذكر خطيئته ويعتذر لهم لأنه ليس له قدرة على أن يلقي ربه ويشفع للخلق عنده وقد قام بما قام به فيقول لهم اذهبوا إلى غيري (خطيئة واحدة أمر أن لا يأكل من الشجرة ولكنه أكل منها ثم تاب الله عليه فتاب واستغفر) ورغم التوبة والاستغفار إلا أنه يوم القيامة يذكر ذنبه ويستحي من ربه أن يلقاه به .

**ثم يذهب الخلق إلى نوح عليه السلام:** ويذكرون مكاتته ومناقبه فهو أول الرسل وأول مَنْ أمر بالتوحيد ، فيأتي نفس الرد من نوح عليه السلام .

ولكن استحياء نوح من ربه لسبب مُختلف فقد قام بدعوة قومه لمدة تسعمائة وخمسون عامًا فلم يستجب إلا القليل منهم فقام بالدعاء عليهم ولذلك فهو يستحي من ربه بعد أن دعا على العباد أن يشفع لهم (فهو لا يرى كم الجهد والتعب والضغط العصبي والنفسي الذي قدمه على مدار تسعمائة وخمسون عامًا ، فكل هذا لا يساوي شيء إذا ما قُورن بدعائه على قومه ) فاستحي من ربه أن يشفع للعباد عنده .

ويتوالى ذهاب الخلق للأنبياء واحد بعد الآخر ( يمتنع إبراهيم عليه السلام ويذكر ثلاث كذبات يعتقد أنها كذبات ويأمر بالذهاب إلى غيره )

ثم يأتي دور موسى عليه السلام : فيمتنع هو الآخر ويذكر قتله لنفسه لم يؤمر بقتلها،

ثم عيسى عليه السلام: فيمتنع هو الآخر إلا أنه لا يذكر لنفسه ذنبًا .

ثم يذهبون سيد الخلق وحبيب الحق وخليله فيأتي رده عليهم: بانطلاقه وإتيانه العرش و سجوده لربه سبحانه وتعالى .

**الشاهد:** هو حياء الأنبياء مع ربهم فهم يستحيون منه بالرغم من أنهم لا يطلبون شيئاً لأنفسهم ولكنهم يشفعون لغيرهم،

الأنبياء في هذا اليوم يدعون بدعوة واحدة وهم يمرون على الصراط : يا رب سلّم يا رب سلّم ( هؤلاء أنبياء تحملوا ما تحملوا من تبعات الدعوة وهمومها إلى جانب أنهم كانوا على درجة عالية من التقوى والورع وكل خلق جميل كانوا يتحلون به فهم أفضل الخلق ، كما أنهم ليس لهم ذنوب إلا النذر اليسير) كل هذا ومع ذلك فأنهم يستحيون ويخافون من ربهم ويقولون يا رب سلم.

**إذا أردت أن تعرف أين منزلتك فانظر إلى مَنْ هم أعلى منك .**

وحتى نعلم كيف يتلاعب الشيطان بعقول المسلمين ويجعلهم في حالة من التوهان أو عدم التركيز إلى جانب عدم الفهم لحقيقة منزلة الأعمال التي يقومون بها فليس كل مَنْ صلى أو صام أو أخرج صدقة أو أدى عمرة يكون قد نال بعمله هذا الفردوس الأعلى من الجنة ، البعض يعتقد ذلك ويتخيل أنه مع البخاري وابن تيمية في المنزلة ، ولو نظرنا لحال الأنبياء لاستحيينا مما نفعنا ومما نعتقد أننا نستحقه .

**إذاً فإن حياء الجناية يعني:** أن يرى العبد ذنوبه فيستحي من الله عز وجل أن يتمادى في الخطأ أو أن يطلب منه شيء .

**2- حياء التقصير:**

كحياء الملائكة ، الذين يسبحون بالليل والنهار لا يفترون ، فإذا كان يوم القيامة قالوا : " سبحانك ! ما عبدناك حق عبادتك

**قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (6) [التحریم]**

(تسبیح\_ تحمید\_ سجود\_ طاعة\_ تهلیل\_ عدم عصیان) كل هذا يتم بصورة مُطلقة بدون أي معاصي ، ثم يأتي عليهم يوم القيامة فيقولون : سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك \_سنوات وسنوات لا نعلم لها حصر ولكن خلق الملائكة قبل خلق البشر بكثير بقليل لا نعلم ، ملايين السنين من السجود والركوع والعبادة والطاعة وعدم العصيان وهم لم يروا ربهم فإذا ما رأوه قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، فأي حياءِ هذا!

دعونا نترك الحديث عن عبادة الملائكة فلا وجه للمقارنة ولنتكلم عن البشر ، نوح عليه السلام الذي ظل يدعو إلى الله تسعمائة وخمسون عامًا إلى جانب العبادة التي تؤدي على أكمل وجه فهم أنبياء فإذا ما صلى أو صام النبي فلا مجال للمقارنة بين صلاته أو صيامه أو أي عبادة أخرى يقوم بها وبين أي إنسان آخر لأنه يأتي بالعبادة على أكمل وجه ، طاعة العباد قاصرة ناقصة مدخولة بها حظ نفس وآفات لا يعلمها إلا رب العالمين .

لابد من استيعاب هذه المفاهيم حتى يفيق المسلمين من غفلتهم ، لأن اليوم نجد الغفلة قد سيطرت على العقول بطريقة رهيبة .

**- مثال :** الأخ حليق اللحية أو الأخت التي لا تلتزم بالزي الشرعي الذي أمر الله به إذا ما قيل لأحدهما هذا لا يجوز وفيه مخالفة لشرع الله عز وجل فإنهم يرمون القائل بالتعنت والتشدد والتعصب المبالغ فيه .

فهل إطلاق اللحية أو الأمر بارتداء الزي الشرعي جاء من عند من ينصحهم بطاعة الأمر أم أن الأمر بذلك هو رب العالمين الذي خلق وأمر .

**-الإشكال :** أن الشيطان يلبس الأمر على البعض فيجعل معصيته تهون عليه قياسًا على معصية غيره فهو يعمل مقارنة بين حاله وحال مَنْ هو أدنى منه

فالذي يكذب يهون عليه كذبه لأنه يرى مَنْ يغتاب ، والذي يغتاب يهون عليه ذنبه لأنه يرى مَنْ يرتشي ، ومن ترتدي حجاب (الموضة العجيب ) أفضل من المُتبرجة ، كلما تحدثت إلى شخص يكون رده ما الخطأ الذي أفعله ، فهو في نظر نفسه أفضل من غيره ، هكذا لَبَسَ

عليهم الشيطان هذا الأمر، فهو يصور ذنوب العباد ويضعها أمام بعضهم البعض حتى يستقلون ذنوبهم (مدخل شيطان رهيب والسبب قلة العلم).

الإنسان العاقل الذي يريد أن يكون من أهل الجنة عليه أن ينظر إلى مَنْ هم أعلى منه (بالنسبة لأمر الآخرة) فيقتدي بهم.

**قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**

**(19) ﴿الإسراء﴾**

النبي ﷺ الذي عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو أفضل الأنبياء بل هو أفضل البشر على الإطلاق فهو خليل الرحمن ، مع كل هذا يقوم فيصلي حتى تتورم قدماه ،

حَدَّثَنَا زِيَادُ هُوَ ابْنُ عِلَاقَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ الْمُغِيرَةَ، يَقُولُ: قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» أخرجه البخاري (4836)، أخرجه مسلم (2819)

هذا هو حياء الأنبياء فهو يشعُر بالتقصير، وقد كان مَنْ يُجالس النبي ﷺ يعد له سبعون إلى مائة مرة من الاستغفار في المجلس الواحد ، فمن أي شيء كان يستغفر النبي ﷺ وما أرسله ربه إالرحمة للعالمين ؟ ويا ترى ما الذي كان يستحضره النبي ﷺ وقت الاستغفار ؟ لقد كانت حياته ما بين طاعة وعبادة وعمل ودعوة وجهاد فهو أطهر القلوب وأنقاها وأصفاها على وجه الأرض.

**قال بعض أهل العلم :** كان النبي ﷺ يستغفر عن تقصيره وذاك هو حياء التقصير

هذا الحياء نحتاج إليه عندما يلبس الشيطان على بعضنا الأمر فيجعله يعتقد أنه لا يقع في الذنوب (وهذا مستحيل ) ولكن عليه أن يعرف أنه مُقصر حتى وهو في داخل الطاعة ، ألم يفكر أحدنا لماذا شرع لنا الاستغفار بعد الصلاة مباشرةً دون غيره من الأذكار الأخرى ؟ أمرنا بالاستغفار بعد الصلاة مباشرةً رغم أنها طاعة وليست معصية لإيصال رسالة إلى المسلمين قد تكون وصلت للبعض دون الآخر .

**(استغفار العبد بعد هذه الطاعة لأنه وقف بين يدي ملك الملوك وهو غافل ساہ غائب القلب شارد العقل يشغله أمر دنياه وقد يستحوذ عليه الشيطان وهو في داخل الصلاة أكثر**

**وأكثر فيدفعه إلى التفكير في معصية سيقوم بها بعد أن ينتهي من الصلاة) إذا فإن هذا**  
الاستغفار ينتج عن الجناية التي ارتكبت في الصلاة ، فبدلاً من الخشوع والخضوع  
والسكينة والتأدب والانكسار لأننا نقف بين يدي رب السماوات والأرض استبدل الكثير  
مننا هذا بالقلوب الغافلة أو التفكير ولو على أقل تقدير فيما هو مباح .  
لابد أن نفهم هذه المعاني على وجه صحيح كي نعبد الله عز وجل على الوجه الذي يُحبه  
ويرضاه ، وإلا فستظل العبادة تؤدي ولكن يعترها الخلل وبالتالي فإن التصرفات أيضاً  
سيعترها الخلل .

**قال الفضيل بن عياض:** (لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة ، وبين أن لا أبعث لاخترت  
أن لا أبعث).

وهذا يرجع إلى شدة حياء هذا الرجل ، الذي يقول أنه لو خير بين بعثه ودخوله الجنة وبين أن  
لا يُبعث لاختر أن لا يُبعث حتى لا يلقي الله استحياءً منه فهو يرى لنفسه ذنوب وأخطاء  
وتقصير وهو لا يستطيع أن يقف بكل ذلك بين يدي الله عز وجل فيحاسب على هذا وذاك  
\_ الذي يقول هذا الكلام رجل هو إمام من أئمة وسادة السلف الذين عُرفوا بالتقوى والورع  
والعلم ، هذا يُعد علم من أعلام الأمة .

**قال الفضيل بن عياض** رضي الله عنه : واسوأ تاه منك وإن عفوت . فأف والله لمختار الذنوب ومؤثر لذة  
لحظة تبقى حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وإن غفر له .

فهو مُستاء جداً رغم عفو الله ومغفرته لأنه سيقف بين يدي الله ويكلمه وقد جاء في  
الحديث ما يدل على هذا الوقوف .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ  
تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ  
بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» أخرجه البخاري (1413)،  
أخرجه مسلم (1016) واللفظ له

هذه الأحاديث كانت تجعل السلف في حالة من الخوف والرعب فتدفعهم إلى تفضيل عدم  
البعث على البعث الذي يعقبه جنة حتى لا يقفون بين يدي الله عز وجل .

### 3- حياء الإجلال (تعظيم الله وإجلاله):

شعور العبد أنه يعصي ملك الملوك ،الملك الحق ،الرحمن الكبير المتعال ،كيف يتجرأ عليه بالمعاصي ؟ هذه المعاني تستقر في القلب وترسخ فيه على قدر معرفة العبد برب العالمين ، فكلما زادت معرفة العبد بربه (وذلك يأتي من خلال دراسة الأسماء والصفات ) كلما زاد الحياء منه في قلبه ،والعكس صحيح فكلما ضعفت المعرفة كلما ضعف الحياء في القلب ولهذا فإننا ننصح ونرشد طالب العلم إلى ضرورة دراسة الأسماء والصفات لأن هذا باب يؤدي إلى معرفة رب العالمين ، وتلك المعرفة تؤدي بدورها إلى عبادة الله سبحانه بصورة صحيحة على الوجه الذي يرضيه .

**دخل الإمام أبو حامد الخُلُقاني فقال : قلت لأحمد بن حنبل : ما تقول في القوائد . فقال : في مثل ماذا . قلت : مثل ما تقول :**

إذا ما قال لي ربِّي ... أما استحييت تعصيني  
وتُخفي الذنب من غيري ... وبالعصيان تأتيني ؟  
فما قولي له لَمَّا ... يُعاقبني ويُقصيني

فتعجب منها الإمام أحمد وأمره أن يُعيدها مرة أخرى وظل الإمام يُدندن بها .

وهذا هو الحادث بالفعل ، حيث أن البعض يستحيون من المعصية فلا يقومون بها إلا سرًا حتى لا تسقط عليهم عيون الخلق وهم يفعلونها ، أما عين الخالق فلا حياء منها ، وهذا هو معنى الأبيات حيث أن العبد يقوم بالذنب في الخفاء أما في الظاهر فلا ذنوب ولا معاصي ، هذا دليل على مدى ضعف الإيمان في القلوب .

**قال تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) ﴾ [النساء]**

#### 4- حياء الكرم :

ومنه حياء النبي ﷺ فقد كان أكرم الناس وأكثرهم حياءً، فلم يرد سائل قط أيا كان طلبه حياءً منه .

ومنه حياءه ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب فطولوا الجلوس عنده ، فقام واستحى أن يقول لهم : انصرفوا.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ فِي مُبْتَنَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيذَ بِنْتِ جَحْشٍ: «أَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا عَرُوسًا، فَدَعَا الْقَوْمَ فَأَصَابُوا مِنَ الطَّعَامِ، ثُمَّ خَرَجُوا وَبَقِيَ رَهْطٌ مِنْهُمْ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطَالُوا الْمُكْثَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ لَكِي يَخْرُجُوا، فَمَشَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَشِيَتْ، حَتَّى جَاءَ عَتَبَةَ حُجْرَةَ عَائِشَةَ، ثُمَّ ظَنَّ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَرَجَعَ وَرَجَعَتْ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَإِذَا هُمْ [ص: 24] جُلُوسٌ لَمْ يَقُومُوا، فَرَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَعَتْ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ عَتَبَةَ حُجْرَةَ عَائِشَةَ وَظَنَّ أَنَّهُمْ خَرَجُوا، فَرَجَعَ وَرَجَعَتْ مَعَهُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ خَرَجُوا، فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِالسُّتْرِ، وَأَنْزَلَ الْحِجَابَ» أخرجه البخاري (5166).

فنزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) ﴾ [الأحزاب]

بلغ حياء الكرم عنده ﷺ إلى درجة أنه لم يكن عنده إلا عبادة واحدة فسأله إياها أحد الصحابة فأعطاه إياها.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ، فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكُسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا

إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا، فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ،  
فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «نَعَمْ» فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَمَةِ أَصْحَابِهِ، قَالُوا: مَا  
أَحْسَنَتْ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُخْتَاَجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ  
عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا" أخرجه البخاري (6036)

علينا أن تتأسى بالنبي ﷺ فلا نرد سائل متى كان طلبه في مقدور المسئول ، كما أنه يجب على  
السائل أن لا يكون لحوحاً في طلبه كي لا يتأذى منه المسئول فالمسلم يجب أن يحتفظ بعزة  
نفسه وكرامته ومتى طلب شيئاً ولم يُستجاب له فلا يُكرر هذا الطلب فتلك هي أخلاق  
المسلم .

### 5- حياء الحشمة :

كحياء علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي لمكان ابنته منه  
فاستحي علي من الحديث مع النبي ﷺ فأرسل غيره ليسأله .

**أين نحن الآن سواء رجال أو نساء من حياء علي رضي الله عنه ؟** نحن نرى الآن على  
الفضائيات مَنْ يتصل بالعلماء لي طرح عليهم أسئلة تتناول أدق تفاصيل الحياة وقد تكون  
تفاصيل العلاقة الزوجية دون أدنى حياء وهذا أمر مُشاهد من الجميع ، قلة الحياء دليل  
على نزع الإيمان من القلوب .

### 6- حياء الاستحغار واستصغار النفس :

كحياء العبد من ربه عز وجل حين يسأله حوائجه ، استحقاراً لشأن نفسه واستصغاراً لها  
**وهذا يعني:** أن العبد قد يكون له طلب عند ربه ولكنه يستحي أن يطلبه منه نظراً لكثرة  
الخير الذي منحه إياه ، وليس معنى هذا أن يتوقف العبد عن سؤال الله ولكن عليه أن يُقدم  
بين يدي طلبه الاستحياء من ربه ، فيذكر أولاً كم النعم التي أسبغها ربه عليه وهو لا  
يستحقها فكيف له أن يطلب المزيد ، هذا الحياء نتيجة استصغار النفس ، فمن أنا حتى  
أطلب المزيد من ربي وأدعوه أن يُعطيني ، وعندما ينظر الرب إلى القلب ويطلع عليه فيرى  
هذا الحياء فإنه سيُعطي الكثير والكثير .

وإذا كان الرب قد أعطى الكثير من غير أن نسأله فما بالنا إذا سألناه .

## 7- حياء المحبة :

هو حياء المحب من محبوبه ، حتى إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه ، وأحس به في وجهه ، ولا يدري ما سببه ، وكذلك يعرض للمحب - عند ملاقاته محبوبه ومفاجأته له - روعة شديدة ومنه قولهم : جمال رائع ، وسبب هذا الحياء والروعة مما لا يعرفه أكثر الناس ؛ ولا ريب أن للمحبة سلطاناً قاهراً للقلب أعظم من سلطان من يقهر البدن ، فأين من يقهر قلبك وروحك ممن يقهر بدنك ؟ ولذلك تعجبت الملوك والجبابة من قهرهم للخلق ، وقهر المحبوب لهم ، وذلمهم له .

هنا يُعطي ابن القيم مثال للمحبة فيتحدث عن المحبة بين الرجل والمرأة وكيف يكون شعور أحدهما إذا ذُكر الآخر ولكن لله المثل الأعلى .

فمن يُحب الله بصدق يستشعر هذه الروعة ويزيد الحياء ويتحرك ويهيج في قلبه إذا أحس أن حبيبه يسمعه ويراه (الله عزوجل) وبالتالي إذا كان في نيته تخطيط أو تدمير أو تفكير في معصية ما فإنه لابد سيرجع لأن حياء المُحب يفعل بالقلوب ما لا تفعله القوة إذا تسلطت على الأبدان .

فيستحي العبد من ربه أن يعصيه وهو يعلم أنه ينظر إليه .

**إذاً فإن هذا النوع من الحياء يمنع العبد ويزجره عن اقتراف الذنوب والمعاصي فضلاً عن الإصرار عليها والتمسك بها .**

## 8- حياء العبودية :

فهو حياء ممتزج من خوف ومحبة ، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده ، وأن قدره أعلى وأجل منها ، فعبوديته له توجب استحياؤه منه لا محالة .

هذا النوع مزيج بين الخوف والمحبة ويرى صاحبه أن كل ما يفعله في حياته لا يُساوي شيء ( كما في حال الأنبياء ) .

فيكون الأخ صَوَّام قَوَّام يعمل من الخير الكثير ولكن عند الحديث معه يُشعر المتحدث معه أنه لا يفعل أي شيء فيستحي أن يذكر عبوديته لربه بل كل ما يذكره هو مدى تقصيره وذنوبه .

**إِذَا فَإِنَّ حَيَاءَ الْعِبُودِيَّةِ يَعْنِي :** أننا مهما ركعنا وسجدنا وضمنا وتصدقنا إلا أن كل هذه الأعمال لا تُساوي شيء لأننا نعبد رب العالمين ولنعد إلى حديث الملائكة في أول الدرس حيث أنهم قاموا بما قاموا به ثم قالوا: **(سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) .**

وهذه الجزئية تُوقف أصحاب الأعمال وأصحاب الطاعات وأصحاب العبوديات الخاصة الذين قطعوا باعًا في سيرهم على الطريق لماذا ؟

لأن النفس أحيانًا تدخل فتفسد العمل بالعُجب أو الكبر، ما يكسر هذا هو تأنيب النفس بتوجيه اللوم لها على التقصير في العبادة وهل هذه عبادة تليق برب العالمين ؟

**- حياء العبودية هو:** أداء العبادة على أكمل وجه أيًا كانت صورة هذه العبادة ثم الاعتذار إلى الملك عن هذه الطاعات وتلك العبادات التي مهما أديت على أكمل وجه إلا أنها لا تليق بملك الملوك .

لأن التوفيق إلى القيام بهذه الطاعات يرجع إلى محض فضله وكرمه وإحسانه إلى عبده الذي أراد له التوفيق وإلا لما استطاع أن يقف على قدميه ليعبد الرب القدير، فهو المُحْسِن ابتداءً وانتهاءً وهو الذي أعان عبده فوفقه للطاعة وأعانه على القيام بها وأعانه على الشكر بعد الطاعة ، والشعور بالتقصير يدفع صاحبه إلى القيام بالمزيد من الطاعة والعمل إلى جانب الاجتهاد في أداء الطاعة .

وفي نفس الوقت فإن الله عز وجل يُحب عبده المُنكسر لأن هذا العبد عرف قدر نفسه أما العبد المُعجب المُتعالى بطاعته يكون ممقوتًا من ربه .

## **9- حياء الشرف والعزة :**

فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء وإحسان ، فإنه يستحي مع بذله حياء شرف نفس وعزة ؛ وهذا له سببان : أحدهما هذا .

والثاني : استحيائه من الآخذ ، حتى كأنه هو الآخذ السائل ، حتى إن بعض الكرام لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياء منه ، وهذا يدخل في حياء التلوم ، لأنه يستحي من خجلة الآخذ .

**- فالأول يعني :** أنه نظراً لعزّة نفسه وشرفها يستقل كل ما قدم من عطاء أو بذل أو إحسان **- الثاني يعني :** (استحياء من الآخذ ) .

**-مثال :** شخص معه مال ويريد أن يُعطي إنسان فقير بعض من هذا المال ليُعينه على قضاء حاجاته فيذهب إليه ليُعطيه وهو مُستحي وخجول من نظرات الفقير له وهو مُنكسر (فالآخذ دائماً مُنكسر) فهو يشعر أنه في الدرجة الأدنى وهذا مفهوم خاطئ لأن الغني عندما يُعطي الفقير المال يكون لله ، والفقير يجب أن لا يكون منكسر لأن المال مال الله عز وجل فهو الرزاق والغني مجرد وسيلة لإيصال رزق الله للفقير .

حياء النفس وشرفها يجعل صاحبها يشعر وكأنه هو الآخذ لا المُعطي ، حياءً من هذا الشخص الذي يشعر بالنقص أو الذل وبالتالي فهو لا يريد أن يرى هذا الانكسار أو الشعور بالنقص والذل في عين هذا الفقير .

**- هذه جزئية هامة :** لابد أن تراعى خاصة في مُعاملة الفقراء البسطاء لأن مراعاة هذه الجزئية قد يكون أهم عند الفقير من العطاء نفسه .

## **10 - حياء المرء من نفسه :**

فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون ، فيجد نفسه مستحيياً من نفسه ، حتى كأن له نفسين يستحي بإحداهما من الأخرى ؛ وهذا أكمل ما يكون من الحياء ، فإن العبد إذا استحي من نفسه ، فهو بأن يستحي من غيره أجدر

\_الشخص الناجح في أمور الدنيا يُقال عنه أنه طموح وذكي فهو يُحقق منزلة بعد منزلة ، وكل يوم يتقدم أكثر من سابقه ، هذه نفس عزيزة عالية لا ترضى بالقليل ولا تقبل بالدون فهي أحبت الكمال بالنسبة لأُمور الدنيا .

ليت هذه الشخصية تطلّب العلو والكمال في الدين وأمور الآخرة كما تفعل مع أمر الدنيا

**للأسف أين هذا النوع من الحياء عند المسلمين .**

- الرشوة يطلبها الموظف صراحةً جهاً نهاراً وكان هذا هو الوضع الطبيعي ولن تقضى مصالح الخلق إلا بذلك (سُخت ومال حرام تأكله وتُدخله على أبناءك بمنتهى التبجح والتجرؤ على اقتراف معصية الله سبحانه)، وآخر أكل مال أبناء أخيه الأيتام، وغيره يغتاب ويمشي بين الناس بالنميمة، وآخر يشاهد المواقع الإباحية (أنت يا مَنْ أوصدت الأبواب حتى لا يراك الخلق أين أنت من نظر الخالق؟

فإن كنت تعتقد أن الله لا يراك فالعيب في إيمانك، أما إن كنت تعتقد أن الله يراك فلماذا جعلته أهون الناظرين إليك؟

**أين حياء المسلمين من الله في كل هذه المواضع؟ سلب الحياء يوم سلب الإيمان.**

**قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23]**

**عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ بَيْضَاءَ فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا» قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا وَجَلِّهِمْ، لَا نَكُونُ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمَنْ جَلَدَتْكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» مسند الروياني (651)**

- الحديث: مُرعب صلاة وقيام وصيام وأعمال كالجبال ثم إذا خلوا بأنفسهم تجرؤوا على معاصي الله وانتهاك محارمه.

**انتبهوا:** لأن مَنْ يفعل ذلك قد جعل الله هو أهون الناظرين إليه، استحي أن يراه الخلق فأوصد الأبواب دونهم حتى لا يرونه حال معصيته، ولم يستحي من الخالق الذي يعلم السر وأخفى.

- **الإشكال هنا:** لا يكمن في المعصية بل يكمن في استهانة العبد بنظر الله إليه وإطلاعه عليه وهو يقترب المعاصي، وهذا أعظم من المعصية،

فيمكن للعبد أن يستغفر ويتوب ويعود إلى ربه بعد القيام بالمعصية فيغفر الله له فهو الغفور الرحيم

**أما الطامة الكبرى فتتمثل في : خوف العبد من العباد وعدم خوفه من رب الخلق ، ولهذا جاءت الأعمال يوم القيامة كالجبال ولكنها أصبحت هباءً منثورًا .**

**عن عبادة بن نسي عن قيس بن الحارث عن سلمان قال :** (لأن أموت ثم أنشر ثم أموت ثم أنشر ثم أموت ثم أنشر أحب إلي من أن أرى عورة الرجل أو يراها مني) .

**وكان أبو عبد الله الأنطاكي رحمه الله يقول :** ( أفضل الأعمال : ترك المعاصي الباطنة ) ، ف قيل له : ولم ذلك ؟ قال : ( لأن الباطلة إذا تركت كان صاحبها للمعاصي الظاهرة أترك ، فمن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، ومن تساوت سريرته وعلانيته فذلك العدل ، ومن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور) .

ولهذا عندما يسألني البعض عن مَنْ لا يلتزم بالزّي الشرعي أو بإطلاق اللحية ولكنه إنسان طيب ، أقول : الطيب ما طيّبه الشرع والخبيث ما خبّثه الشرع فكل إناء بما فيه ينضح ، فمن المستحيل أن يكون الداخل سليم والخارج مشوه ، كما أنه ليس شرطًا إذا كان الخارج سليم تمامًا أن يكون الداخل سليم (احتمال الصلاح واحتمال الفساد قائم) في هذا الحال أما الأول فمستحيل ،

لقد نصّحهم بترك المعاصي الباطنة لأن الظاهر بعد ذلك سيكون أسهل فمَنْ يُجاهد نفسه على ترك الحسد والحقد وسوء الظن بالمسلمين فإن إصلاحه للظاهر سيكون أسهل عليه .

قد يبدأ البعض بإصلاح الظاهر أولاً (لا بأس بذلك بل هو الأولى) ولكن قد يأتي الشيطان ليفتح باب تسويق وإضلال بماذا؟ ابدأ أولاً بالداخل ثم أصلح الظاهر ، ويحتج بأن الظاهر لو كان صالحًا والباطن فاسدًا لكانت الصورة سيئة للإسلام والمسلمين ، نحن أمرنا بإصلاح الباطن والظاهر وجهاد النفس مُستمر في الجهتين .

**وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته :** (يا ويحي ، عاملت الناس بالأمانة ، وعاملت ربي بالخيانة ، فليتنى عكست ) ، ثم يبكي .

فأسأل الله أن يعلمنا ما جهلنا وينفعنا بما علمنا ويجعل في قلوبنا الحياء لأنه خصلة  
جميلة ومحمودة وشعبة من شعب الإيمان أسأل الله أن لا يحرمننا هذه الطاعة الجميلة  
بسوء ما عندنا وجزاكم الله خير.